رأي مستشرق أميركي في أسباب

عدم التفاهم بين العرب والأمريكان

بقلم جوارد رولاند

لا يخفى على احد ان التوتر بين الولايات المتحدة والبلدان العربية يزداد كل يوم في الايام الاخيرة ، وان أي شخص عربي او امريكي مهتم بتاريخ الشرق الاوسط الحديث يعرف ان سبب ذلك التوتر هو تأييد الحكومة الامريكية بصفة خاصة ـ وتأييد الرأي العام الامريكي بصفة عامة ـ لاسرائيل ، عدوّ العرب الاول . هذه حقيقة لا يمكن ان تنفى .

لقد قرأت مقالات عدة باللغة العربية كتبها ابناء العرب لقراء عرب يشرحون فيها ما الذي يجب على العرب ان يعملوه لكسب الرأي العام الامريكي الذي يضغط بدوره على الحكومة الامريكية لكي تغير سياستها في الشرق الاوسط ـ في المستقبل القريب او البعيد . وهذه المقالات عادة دراسات من الدرجة الاولى تعالج حقائق أخطاء العرب في حقل الاستعلامات والدعاية في الولايات المتحدة (والدول الغربية الاخرى) بشكل واقعي . وكثيرا ما يتوصل مؤلفو مثل هذه المقالات الى انه على المثقفين العرب ان يعبئوا طاقاتهم العقلية بغية شرح قضية فلسطين للامريكان ـ خاصة للامريكان المثقفين ـ بشكل موضوعي وواقعي يتناسب مع « الذهنية العلمية والمنطق البارد » لهؤلاء المثقفين الامريكان .

وقرأت ايضا مقالات كثيرة ـ بلغة انكليزية ممتازة ـ في مجلات مختلفة يشرح فيها مؤلفون عرب قضية فلسطين في كل ابعادها بطريقة مقنعة جدا . ويشاركهم في هذه الجهود كثير من الامريكان وغير العرب الذين يؤيدون وجهة نظر العرب في قضاياهم . ومن الصعب فعلا على أي قارىء موضوعي ـ بعد قراءة مثل هذه المقالات ـ ان لا يسلم بان للعرب الحق في قضية فلسطين .

هذه تطورات ايجابية ارحب بها كمؤيد امريكي للشعب العربي خاصة للشعب الفلسطيني الساكن في خيام معسكرات اللاجئين ـ بلا وطن وبلا اية فرصة في الحياة .

هذه تجاربي في حياتي الجامعية بصفتي طالبا امريكيا للدكتوراه في ميدان اللغة العربية وادبها في جامعة ميشيغان في الولايات المتحدة . لقد تعلمت كثيرا من قراءة مثل هذه المقالات وفي المستقبل ـ اذا نجحت في دراساتي ـ ستتاح لي الفرصة لشرح وجهات نظر العرب للطلاب الامريكان الذين سأعلمهم اللغة العربية والادب العربي .

هذا كله من ناحية الحياة الجامعية . ولكن حياتي وتجاربي الشخصية كأمريكي بين الشعب الامريكي وبين العرب ـ في الولايات المتحدة والبلدان العربية ـ قد علمتني انه يوجد عدم التفاهم والاتصال laeh of communication and understanding بين العرب والامريكان ويمكنني ان اقول انه شامل . لقد عشت لمدة سنتين بين العرب ـ المسلمين منهم والمسيحيين ـ في سوريا ولبنان ومصر . واعرف جميع انحاء سوريا والعراق والكويت ولبنان والاردن (بما في ذلك الضفة الغربية) بفضل جولة سياحية قمت بها في ربيع وصيف سنة ١٩٦٥ . وسافرت « مجانا » hiteh - hihing خلال هذه الجولة متنقلا من مكان الى مكان في سيارات شحن وسيارات خصوصية واوتوبوسات شعبية تبدو وكأنها مصنوعة في القرن التاسع عشر . ونزلت في فنادق صغيرة فاستأجرت سريرا بجانب اسرة ينام فيها سواقو سيارات نقل ومهربون وطلاب فقراء من القرى . وبعبارة اخرى عشت في ضيافة العرب وتحت رحمتهم .

لقد قمت بجولات مماثلة كثيرة في بلادي الخاصة ـ من المحيط الاطلسي الى خليج المكسيك الى المحيط الهادىء . انني احب الشعب العربي الذي أجده من الطف شعوب العالم واكثرها جاذبية . واحب الشعب الامريكي الذي انا من ابنائه والذي اعطاني قلبي ودمي ونفسي .

وبسبب هذه التجارب الجامعية والشخصية وبسبب اهتمامي بمشاكل وقضايا الشرق الاوسط اريد ان احاول شيئا جديدا ـ اريد ان اكتب مقالة للقراء العرب باللغة العربية (*) أشرح فيها شعور الامريكان تجاه العرب على المستوى الشعبي غير الحكومي . وسأحاول ان اشير الى بعض الاسباب لعدم التفاهم والاتصال بين الشعبين على اساس انطباعات عامة من الناحية النفسية بشكل مجرد من اية لباقة دبلوماسية لانني اعتقد ان ايام فائدة « الدبلوماسية » بين العرب والامريكان قد ولت من زمان .

(*) آثرنا ان نترك مقالة المستشرق الاميركي كما هي دون تعديل او تغيير (التحرير)

ان الحقيقة الاولى في العلاقات بين الشعبين العربي والامريكي ـ كما أراها ـ انه عامة لا يوجد علاقات بين العرب والامريكان . اعني ان الامريكان ـ وراء المحيط الاطلسي ـ لا يعرفون حقيقة من هم العرب ولا يفكرون فيهم الا كل عشر سنوات عندما تملأ اخبار حرب عربية ـ اسرائيلية عناوين الصحف الامريكية . وتلك الحقيقة تصح ايضا بالنسبة لموقفنا من كل الشعوب في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . نعرف اوروبا اكثر لان معظمنا من اصل اوروبي وهي ايضا هدف عدد كبير من السياح الامريكان كل سنة . ولكن الهند والكونغو والبرازيل والبلدان العربية هي اماكن بعيدة جدا عنا لا نتوقع ان نراها ابدا في حياتنا . ونتيجة لذلك نادرا ما تجد امريكيا يعرف شيئا عن بلدان الشرق الاوسط لان مثل هذه المعرفة لا ضرورة لها في حياته اليومية او الثقافية . لقد رأيت العرب في الشرق الاوسط وكثيرا من الطلاب العرب في امريكا نفسها يفسرون عدم اهتمام الامريكان بالعرب عداوة ضد العرب ولكنني استطيع ان اؤكد لكم ان ذلك ليس صحيحا ، وانما السبب هو عدم المعرفة ولا مبالاة الامريكان العامة بالعرب وبأكثرية شعوب العالم . قد يكون صحيحا ان كل ولد في شوارع دمشق يعرف من هو الرئيس نيكسون لان اباه يشتمه امامه يوميا عندما يقرأ الجريدة ولكن لا ولد في مائة ولد في شوارع شيكاغو او سان فرانسيسكو يعرف من هو جمال عبد الناصر او الملك حسين الا اذا كان ابوه حاخاما او رئيسا لمنظمة شباب يهودية محلية .

والحقيقة الثانية ـ في رأيي ـ ان العرب في امريكا اجانب بكل معاني الكلمة « اجانب » . وجوههم سمراء وشواربهم كثيفة . ويتكلمون لغة فيها الفاظ واصوات حلقية لم تسمع قبلا في القارة الامريكية (الا اذا كانت موجودة في لغات الهنود الحمر) . ويتكلمون بصوت عال وغير مكبت كما يفعلون في مقاهي الشرق الاوسط . وعندما يقولون جملة we are arabs يلفظون حرف «R» في « are » و « Arabes » بطريقة غريبة ومخيفة ومضحكة في الوقت نفسه . ودينهم الاسلامي غير دين المسيحيين واليهود في امريكا ، ولكن لا يعرف احد كيف وكم يختلف الاسلام عن المسيحية واليهودية ولا يعرف الامريكان اذا كان« ALLAH »الها اسلاميا فقط او « god » نفسه ـ اي الله المسيحيين واليهود » . بالاختصار نعتبر العرب اجانب وغرباء مثل اهل اليابان او الهند او كينيا .

والحقيقة الثالثة انه يوجد عندنا اكثر من ستة ملايين يهودي في الولايات المتحدة نعتبرهم كلهم امريكانا مثل الامريكان المسيحيين . وبما انهم امريكان فيتكلمون لغتنا ويفكرون مثلنا تماما . ولا انكر انه يوجد تمييز عنصري وديني بيننا ضد اليهود في امريكا ولكنه في هذه الايام خفيف جدا ويتضاءل شيئا فشيئا تبعا لذلك يعتبر اكثر الامريكان سكان اسرائيل يهودا مثل اساتذة الجامعات اليهود والاطباء اليهود واصحاب البقالات اليهود ورجال الاعمال اليهود والمحامين اليهود الذين يعرفونهم في الولايات المتحدة . وعندما تزور غولدا مائير الولايات المتحدة نسمعها تتكلم باللهجة الامريكية عن ايام طفولتها في مدينة ميلواكي (ولاية ويسكونسون) . ونرى ابا ايبان في التلفزيون يدافع عن احتلال اسرائيل للاراضي العربية بلغة انكليزية بريطانية انيقة (ولا عجب في ذلك اذ ان اصله من افريقيا الجنوبية) . وعندما نشاهد ، في التلفزيون ، تدي كولك الرئيس اليهودي لبلدية القدس او اسحاق رابين سفير اسرائيل للولايات المتحدة نرى وجوها اوروبية الشكل تشبه وجوهنا ونسمع لهجات من اوروبا الوسطى والشرقية مثل لهجات اجدادنا واجداد اصدقائنا الذين هاجروا من المانيا وبولندا وروسيا من ٤٠ سنة .

هذه حقائق اساسية ثلاث تجعل تقاربا بين العرب والامريكان صعبا جدا حتى على المستوى الشعبي . ولكنه في رأيي يوجد عوامل اخرى تزيد عدم التفاهم بين العرب والامريكان ـ عوامل تتعلق باختلاف الشعبين من ناحية العادات والفضائل والقيم الاجتماعية ، مثلا : يبدو لي ان العرب يقدرون جدا شخصا فصيح اللسان يخطب بطريقة شعرية وادبية . الامريكان من ناحية اخرى لا يحترمون الاسلوب الخطابي والشعري في الكلام . ويعتبر الشعر والخطابة في امريكا شيئا متخنثا ومتأنثا غير رجولي (وغير عملي) . ونحن نميل الى الشكوك في اي واحد يحسن الكلام والخطابة ونفترض انه يتكلم فقط ولا يعمل شيئا . يمكن ان يقال ان الامريكي الذي يعمل في صمت يكسب احتراما اكثر من الرجل الذي يعمل جيدا ويتكلم كثيرا عن عمله . لذلك يضحك الامريكان اذا قال زعيم عربي « سوف نحطم وسوف نهدم دولة الصهاينة ! » او « سنستعيد فلسطين من المغتصبين الشذاذ الآفاق من وراء البحار ! » او « سنرفع الذل عن اكتاف الشعب العربي ! » الى آخره . الاسرائيليون الذين يعرفوننا جيدا قالوا لنا بكل بساطة قبل نشوب حرب ٥ حزيران « لا نريد ان نقاتل العرب ولكننا سندافع عن بلادنا اذا اصبح ذلك ضروريا » . وبعد ذلك بدأوا الحرب فجأة بغارات جوية واسعة النطاق على جميع المطارات العربية !

نحن كشعب نحترم القوة والنجاح جدا . اذا كلمت امريكيا خمس ساعات شارحا له حق الشعب الفلسطيني في فلسطين فسيقول لك في الآخر « ولكن اليهود كسبوا الحرب في سنة ١٩٤٨ فبنوا مصانع في البلاد وشيدوا طرقا معبدة . فمعناها انهم يستحقون البلاد اكثر من العرب » . المدافع عن الحق الذي لا يقاتل ولا ينجح في القتال لا يكسب احتراما عند الامريكان . المهم العمل والنتيجة ، لذلك اصبح الامريكان يهتمون بالحركة الفدائية ونرى انعكاس ذلك في المجلات والصحف الامريكية ، انا كشخص امريكي أحس بان اي نجاح في الحركة الفدائية سيجد رد فعل ايجابيا عند الشعب

الامريكي لاننا نميل الى الاعتقاد ان المقاتل ـ مهما كانت قضيته ـ له الحق اذا قاتل ـ خاصة اذا كان الخاسر قبلا او اذا قاتل قوة متفوقة منتصرة مثل قوات الاحتلال الاسرائيلية . لذلك كان الشعب الامريكي يؤيد كاسترو (قبل ان يتبين انه شيوعي) والجزائريين ضد فرنسا . وذلك من اسباب احترام الطلبة الامريكان للفيتكونغ الذين يقاتلون الامريكان انفسهم في فيتنام . والمعروف ان رجال الحكم في فيتنام الجنوبية وقواتهم المسلحة ـ مع انهم ضد الشيوعية ويتبعون سياسة أمريكا ـ يحتقرون في الولايات المتحدة لانهم لا يقاتلون بشدة وارادة مثل الفيتكونغ وقوات فيتنام الشمالية .

لقد عرضت وجهة نظري بخصوص بعض الاسباب لعدم التفاهم بين الشعبين العربي والامريكي وعرضت المشكلة من جهة امريكية صريحة . لم اقصد ان اجرح مشاعر اي قارىء عربي ـ بالعكس ، اتمنى ان اساعد في فتح وسائل الاتصال بين شعبي والشعب العربي . واريد ان انهي هذه المقالة بشيء من التفاؤل لانني قد شددت على التشاؤم لدرجة كبيرة ربما اكثر من اللازم ، والتفاؤل هذا سيتألف من عدة اقتراحات للعرب الذين يتعرفون على الامريكان ويتعاملون معهم ، أكان ذلك في امريكا او في البلدان العربية :

١ ـ قولوا للامريكان في كل مناسبة ممكنة ان كثيرا من العرب مسيحيون مثلهم وان الاسلام قريب من المسيحية واليهودية ، ان الامريكان لا يدركون ان جذور الحضارة العربية والحضارة الغربية قريبة جدا بعضها لبعض ، يرون جامعا فيظنونه « معبدا » ـ لا يعرفون ان المسلمين يعتبرون نوحا وموسى وعيسى انبياء مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٢ ـ شجعوا الامريكان على زيارة بلدانكم اذ ان الامريكان يحبون السفر ويقدرون الضيافة الطيبة من النوع الذي يشتهر به العرب . ولا تنسوا ان الامريكان معروفون بضيافتهم ايضا .

٣ ـ عندما تكلمون الامريكان في موضوع قضية فلسطين والقضايا العربية الاخرى ناقشوهم بكل هدوء بدون انفعال بقدر الامكان . وقولوا لهم انكم ستحاربون اسرائيل حتى النصر برغم المساعدات لاسرائيل من امريكا والدول الغربية . الامريكان عادة يفضلون شخصا مستقلا ـ حتى اذا كان ضده ـ على شخص يطلب تأييده وعطفه .

٤ ـ لا تستخفوا بالامريكان القلائل الذين يحاولون تعلم لغتكم او يهتمون بحضارتكم ودينكم . اذا ضحكتم على جهودهم في اتجاه تعلم اللغة العربية او على اسئلتهم الساذجة عن الاسلام والبلدان العربية فسيكرهون تنفجيتكم وغطرستكم .

٥ ـ اخيرا وليس آخرا ـ لا تعتمدوا كثيرا على امكانية كسب عطفنا بوسائل الاعلام والدعاية بخصوص حقوق العرب وتعسف الصهاينة ـ انضموا الى الفدائيين والجيوش العربية المنظمة فسنرى ان الذين يكافحون عندهم قضية ولهم الحق .

لقد حاولت بهذه المقالة ان املأ بعض وجوه النقص في التفاهم بين الشعبين الامريكي والعربي . اتمنى ان ارى ردا على هذه المقالة يكتبه ابن العرب ويشرح فيه بكل صراحة شعور العرب تجاهنا . اعتقد ان مثل هذا الحوار سيفيد ليس فقط العرب والامريكان بل ايضا كل شعوب العالم .

القاهرة

هوارد رولاند

صدر حديثا :

الحركة الوطنية الجزائرية

تاليف

الدكتور ابو القاسم سعد الله

اشمل دراسة عن تاريخ الحركة الوطنية في الجزائر ، تلك الحركة التي انتهت بثورة الجزائر العظيمة وبقيام الجمهورية الجزائرية الديموقراطية والشعبية .

٩ ليرات لبنانية

منشورات دار الآداب ـ بيروت